الدين وتعزيز القيم الأخلاقية

بقلم الدكتور القس صفوت البياضي
رئيس الطائفة الإنجيلية بمصر

بداية باسم مجلس كنائس الشرق الأوسط وباسم كنائس العائلة الإنجيلية في مصر وبلدان الشرق الأوسط وعن شخصي أتقدم بالشكر لهذا البلد المضياف ممثلاً في حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى ، وللأخوة والأخوات الأعزاء الذين رتبوا هذا اللقاء ، وأخص بالذكر صاحب السمو أمير البلاد الشيخ/ حمد بن خليفة آل ثاني.

كما إننا نؤكد على أهمية الحوار بين الحضارات وإلا تصارعت، بل ما أحوجنا إلى تكثيف مثل هذا اللقاء على كل الأصعدة والمستويات فالحوار هو لغة العصر وأسلوب العقلاء والحكماء بل هو أسلوب السماء ؛ أفلم يحاور الخالق سبحانه وتعالى الإنسان حتى في حالة العصيان كما كان حديث الله عز وجل مع آدم في الجنة إلا درس لنا أجمعين في الدعوة إلى الحوار وأدبه وجماله.

((إذا نادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت ؟ وأجاب آدم سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فإختبات)).

وقال الله ((من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها ؟ فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطني من الشجرة فأكلت)).

وقال الرب الإله للمرأة : ما هذا الذي فعلت ؟ فقالت المرأة الجنة أغرتني فأكلت. "سفر التكوين الإصحاح الثالث من ٩-١٣".

والكتاب المقدس يخبرنا في قصة أيوب النبي أن الله حاور إبليس إذ قال له من أين جئت وقال إبليس من الحولان في الأرض ومن المشي فيها.

وقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدي أيوب ؟ لأنه ليس في مثله في الأرض رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر . فأجاب الشيطان الرب وقال هل مجانا يتقي أيوب الله ؟ ولكن أبسط يدك الآن ومس كل ما له فإنه في وجهك يحدق عليك . فقال الرب للشيطان "هو ذا كل ما له في يدك وإنما إليه لا تمد يدك" (سفر أيوب ، الإصحاح الأول ٥-١٢).

دعونا إذاً نرسخ قيمة الحوار ونوسع دائرته لتشمل الكرة الأرضية فتنطلق لغتنا إلى بلاد العالم في شرقه وغربه والعالم محتاج إليه بل وينتظرنا أن نعبر نحوه ونتحدث معه.

26-APR-2006 15:32

رئاسة الطائفة الإنجيلية

THE PROTESTANT CHURCHES OF EGYPT

الدكتور القس صفوت نجيب البياضى

رئيس الطائفة

Rev. Dr. *Safwat N. EL - Baiady*

President

الدين وتعزيز القيم الأخلاقية

بقلم الدكتور القس صفوت البياضى

رئيس الطائفة الإنجيلية بمصر

مهما اختلفت التوجهات الدينية ومع تعدد الديانات والعقائد والثقافات إلا إنها جميعا تتفق على قواعد أساسية كمصادر رئيسية لإرساء مبادئ الأخلاق .

ويمكن تلخيص فوائد الانتماءات الدينية على النحو التالى :

١- فكريا : تساعد المبادئ الدينية على تقديم حلول و إجابات لأسئلة يعجز عنها التفكير العقلانى وحده.

٢- عاطفيا : الإيمان بالله واللجوء إليه يؤدى إلى هدوء النفس البشرية من المخاوف المحيطة بالخليقة وبالإيمان والعبادة يجد المؤمن علاجا للقلق والاضطرابات الناشئة عن الخوف من المجهول .

٣- الدافع الطبيعى : الإيمان يمد الإنسان بالعزيمة والإرادة للاتجاه نحو المثالية والأنموذجية.

٤- اجتماعيا : الإيمان قادر على تقوية الدوافع الاجتماعية والرغبة فى التوحد مع الجماعة والإحساس بالمجتمع والانتماء إليه.

ويمكن تلخيص الأسس الإيمانية إنها موجهة لخير الإنسانية فالخير هو الموضوع وإرادة الخالق هى القاعدة والسعادة الإنسانية هى الدافعة . والإنسان ليس فقط مضطرا أن يعمل مع غيره كفريق ولكنه أيضا يسعى جاهدا أن يمارس عمله من خلال علاقة بآخر تبنى على العدالة والمساواة وهذا ما تحاول القواعد الأخلاقية أن تنظمه وتقيمه وتقويه.

وعلى مر آلاف السنين وضعت الكثير من القواعد والمبادئ الأخلاقية وأجريت عليها التعديلات والإضافات بهدف تأسيس قواعد ومبادئ السلوكيات والتصرفات وخرجت منها أقسام القوانين وكلها تهدف إلى خلق مجتمعات سهلة الحركة مع تنظيم دور وموقع الأفراد فى المجتمعات .

إلا أنه ومع شديد الأسف فقد حدث التفاف على القوانين وقواعد السلوك بهدف تحقيق أكبر قدر لمنافع الأفراد أو جماعات معينة .

ص ب ٣٨ الفجالة ١١٥٢٣ - القاهرة ت : ٦٩٤٣ ٦٨٥ - ٩٢٥٨ ٥٩٣ (٠٢) فاكس: ٥٧٧٩ ٦٨٥ - ٣٦١٦ ٥٩٠ (٠٢) العنوان التلغرافى : الإنجيلية - القاهرة

P.O. Box : 38 El Fagala 11523 Cairo - Tel. : (02) 685 6943 - 593 9258 - Fax: (02) 685 5779 - 590 3616

لهذا فإن قواعد الأخلاق لا ترتبط فقط بالمبادئ الدينية والقوانين الأخلاقية ولكنها أيضا تتأثر بواضعي المبادئ والقوانين.

وعلى مر العصور فإن الأفراد والمنظمات التي وضعت قواعد وسنت قوانين تطبق على الكافة لأن مصادرها إيمانية وإلهية إلا أن كثيرين من المنادين بذلك والمشرعين لقواعدها استخدموا ذلك لأسباب غير مقنعة مما أدى إلى رفضها أو الخروج عليها .

ومنذ نحو مائتي عام قد حارب الأمريكيون ضد الإنجليز لخلاف حول قانون لم يشاركوا في وضعه وهنا تبدو مشكلة هل للأغلبية الحق أن تسن القواعد والتشريعات والقوانين السلوكية التي يخضع لها الجميع ؟

ومشكلة مشابهة ظهرت خلال عصور الظلام ولا زالت قائمة في البلدان ذات الأمية العالية وهي هل من حق المتعلمين والمثقفين أن يلزموا الكافة من الناس بقوانين من صنعهم والأغلبية لم تشارك فيها ؟

والجواب على السؤال الأخير هو ضرورة رفع مستوى التعليم والتنوير لكي يساهم الجميع ويشارك في إرساء قواعد الأخلاق بأكبر قدر وصولا إلى كل المجتمع.

والموقف الحالي في عصرنا الحاضر يشكل أكبر الخطورة والتعقيد إذ تتركز القوى في جماعه صغيرة يسندها المال أو إدعاء المعرفة .

ففي البلاد المتقدمة يؤثر الأغنياء – أصحاب رؤوس الأموال في وضع المبادئ القانونية والسلوكية وغالبا ما تكون هذه القواعد متجهة إلى خدمة أصحاب رؤوس الأموال ومصالحهم.

ومن الجانب الآخر ففي المجتمعات ذات التعليم المنخفض والثقافة المحدودة فإن الجماعة القليلة المتعلمة تكون هي المسيطرة والمهيمنة على فرض قواعد السلوكيات والقوانين والتشريعات لا سيما عندما تعتمد على فهمهم للدين في غيبة الغالبية غير المدركة لكل الأبعاد الدينية وقد لا تخلو أهداف الأقلية المسيطرة علميا ودينيا من أهداف خاصة وتحقيق مكاسب معنوية ومادية دون اعتبار لأغلبية المواطنين.

ولكي يقبل الجميع ما يقدم من مواد أخلاقية ومبادئ تنظيمية لا بد أن يقتنع الجميع بها ويتفهموا الأهداف والمقاصد التي من أجلها توضع وبقدر اقتناعهم بالفائدة العامة من الخضوع للقواعد الأخلاقية والقانونية المعروضة بقدر ما يستقر المجتمع وتنخفض نسبة الخروج على المبادئ أو التمرد عليها . وبقدر مرونة القواعد الأخلاقية والابتعاد عن التطرف في حرفية النص دون إدراك لعمق المعنى

وظروف المجتمعات واختلاف البيئات يكون الالتفاف الجماعى والمجتمعى والرغبة النابعة من القناعة فى احترام قواعد السلوك والأخلاق وتضيق فرص الالتفاف عليها أو الخروج على قواعدها.

وللحديث عن الأخلاق والدين لا بد من التعرض لنظرية الخير والشر وهل العالم شرير أم خير وإذا كان الله هو الخير وهو الحب والسلام وهو مصدر كل الفضائل وفى نفس الوقت هو الخالق للعالم فكيف يكون الله وهو مصدر الخير يخلق عالما شريرا ؟

وإذا كان الله هو كلى الوجود وكلى المعرفة وكلى القدرة فكيف يخلق عالما شريرا به هذا الكم من الشرور ؟ وللرد على الملحدين الذين يدعون أنه لا وجود لله وإنما هو من صنع فكر البشر وأن الله الذى نؤمن به لا يمكن أن يخلق عالما بهذا القدر من الشر أو أن يكون الله غير مطلق العلم والوجود والقدرة . وهنا يأتى الوحى ليفسر لنا هذه الإشكالية فالله خلق عالما جميلا رآه منذ البداية حسنا كما خلق الإنسان الأول على أروع وأجمل صورة ولكنه أغوى وسقط فى الخطية ومع السقوط عرف الخطأ بداية من محاولة الهروب من وجه الله وإلقاء التهمة على الآخر وانتهاء بالطرد من الجنة وما تبع ذلك من حقد الأخ على أخيه والاعتداء عليه بالقتل كما فى حالة قايين وهابيل .

وبالسقوط ابتعد الإنسان عن الحق الإلهى وانحدر إلى الشر وكان العلاج فى الذبيحة التى مارسها آدم وإبراهيم والمسيح عيسى إرضاء للعدل وعمل المصالحة بين الخالق والمخلوق . وبالمصالحة تعود النفس إلى الطبيعة المستمدة من الله منذ أن خلقه بنسمة منه وأعطاه الرغبة والإرادة للخير والصلاح حتى أن بنعمته يقبل الخير ويحيد عن الشر يصنع المعروف ويجد فى إثر السلام. يندم على الخطيئة ويسعى بمعونة الله على حفظ النفس بلا دنس.

ماذا عن دورنا فى مقاومة الشر والأشرار . الإيمان يحضنا على تجنب الشر وفعل الخير أى العودة إلى التمتع بنعمة الله الخالق والرازق الذى من البدء خلق الإنسان ذا طبيعة خيرة وإن كان يملك الحرية أن يفعل الخير أو أن يتحو نحو الشر . والخير لا يحتاج إلى عقل فطين ليميز بينه وبين الشر فالخير كالشمس والنور والشر كالظلام والظلمة .

وهنا يأتى السؤال ما هو دورى فى مقاومة الشر والأشرار ؟ ومع أن هذا السؤال يحتاج إلى بحث كامل ومطول إلا أن الوقت لا يسعنا إلا أن نمر عليه سريعا ولذا سنفصل بين مقاومة الشر ومقاومة الأشرار وكما أسلفنا أن الشر يقاوم بمعونة الله ونعمته والإرادة الصالحة التى خلقها الله فى الإنسان وميزها عن الحيوان وفتح أمامه طريق المصالحة بين الإنسان وخالقه ومنه يمارس المصالحة والسلام بين الإنسان وأخيه الإنسان.

أما الجزء الثاني من السؤال هو دور الأفراد في مقاومة الأشرار انطلاقا من الشجاعة والمروءة وكراهية الشر ورفض الفساد والانحلال وتلك هي سمات الإنسان المؤمن السوي ولكن إلى أي مدى يحق للإنسان مقاومة الأشرار وما هي وسائله؟

١- المؤمن السوي يقاوم الأشرار بالحث على الخير بقدوته الشخصية.

٢- المؤمن السوي يقاوم الأشرار بالدعوة للخير بالموعظة الحسنة وسلوكه الحسن.

٣- المؤمن السوي يقاوم الأشرار برفض المشاركة معهم بالفعل أو بالرضى عنهم والسكوت عليهم.

٤- المؤمن السوي يقاوم الأشرار بإنقاذ المظلوم من يد الظالم والمجني عليه من يد الجاني طالما كان ذلك في مقدوره .

٥- المؤمن السوي من موقعه كحاكم أو قاض أو في موقع السلطان يقتص من الجاني وينصف المجني عليه ويرد العدو عن عدوانه على النفس والأرض والعرض والمال.

٦- المؤمن السوي هو من يدافع عن الحق بالحجة والحوار لا بالعنف والشجار .

٧- الإدانة والعقاب هي لله الديان العادل وللحاكم المسئول عن أمن وسلام المجتمع . الإنسان له الظاهر والله له الضمائر والقلوب والخفايا . قال السيد المسيح " لا تحكموا حسب الظاهر " وللحكام يقول " احكموا حكما عادلا " يوحنا ٧ : ٢٤

٨- ليس للإنسان أن يحكم على إنسان آخر ما لم يكن في موقع المسئولية ووفقا لقوانين وضعية يلتزم بها المجتمع حكاما ومحكومين . ومن له حق الإدانة يدين نفسه إذا أساء استخدام هذا السلطان .

والكتاب المقدس يضع قاعدة للإدانة .

كل من يدين غيره يدين أو يحكم على نفسه لأن الذي يدين يفعل ذات الأمور بعينها أما دينونة الله فهي حسب الحق .

أما من يدين غيره ويفعل الأمور عينها سوف يدينه الله إذ لا نجاة له من دينونة الله . فمن هو الإنسان حتى يدين عبد غيره . هو لمولاه الذي يدين والذي يبرر .

من أقوال القديس بولس في رسالته إلى رومية

وفي عظة السيد المسيح وجه حديثه لمعلمي اليهود الذين يدينون الناس لأعمال هم يعملونها ويعملون أسوأ منها فقال لهم

لا تدينوا لكي لا تدانوا لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون ، وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم . ولماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها . أم كيف تقول

لأخيك دعني أخرج القذى من عينك وها الخشبة في عينك. يا مرائي أخرج أولا الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيدا أن تخرج القذى من عين أخيك.

ومن أهم قواعد الأخلاق الإيمانية " العدل " والعدل بين الناس يأتي على قمة السلوكيات الأخلاقية إذ أن معظم الشرور تأتي نتيجة الإحساس بالظلم وعدم المعاملة المتساوية بين الناس جميعا .

والعدل يبدأ من الأسرة ثم المدرسة والجامعة والعمل وينبغي على الآباء والأمهات أن يمارسوا العدالة بينهم ومع أبنائهم ذكورا وإناثا وعلى المعلمين والمربين أن يفعلوا ذلك ودور أرباب الأعمال والحكومات ومنصات القضاء أن يسود فيها العدل بين الجميع لا فرق ولا امتياز لأحد على أحد بسبب اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو العقيدة.

والإيمان بالله يدعونا إلى المعاملة المتساوية وأن يعطى الجميع ذات الفرص وذات الحقوق ويرتبط بالعدل أن ينال المخطئ جزاء ما يستحق من عمل دون النظر لشخص المخطئ فالعدالة هي المساواة في كل شيء ثوابا وعقابا.

ومن أقوال مارتن لوثر كنج في خطابه ١٩٦٣ بعنوان " عندي حلم " وكرر فيه عبارة أحلم بالحرية أكثر من عشرين مرة وما قاله " لن نرضى أبدا ولن نهنأ أو نهدأ طالما كان الأسود لا يعطي صوته في بعض الولايات وفي بعضها الآخر يعطي صوته دون مبرر. لن نهدأ ولن نهنأ حتى يجري العدل والحق كمياه النهر .

ما معنى ذلك بالنسبة لنا عمليا

أن نعمل معا جميعا وبروح الفريق ليجري العدل كماء وان نمارس نحن العدل في القول وفي الفعل في السر وفي الجهر وأن نناشد الحكام والقضاة والمشرعين أن يعطى كل إنسان ما يستحق من ثواب أو عقاب وان ندرك أن هذه هي مقاصد الله ودعوته وعلى هذا الأساس سيحاسب كل إنسان منا قدام الديان العادل الذي يرى السرائر والخفايا وهو عالم الغيب وفاحص القلب ومبرئ المذنب .

وإلى لقاء .